تاسعاً: العلم

obeikandl.com

obeikandl.com

الحديث الثالث والثلاثون: فضل التفقه في الدين

حدثنا سعيد بن عفير قال: حدثنا ابن وهب عن يونس عن ابن شهاب قال: قال حميد بن عبد الرحمن: سمعت معاوية خطيباً يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: «**من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، وإنما أنا قاسم والله يعطي، ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله**».

- تخريج الحديث:

- صحيح البخاري بحاشية السندي، م١ ج١، كتاب العلم باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ص ٢٤.

- فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج١٣ كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب قول النبي ﷺ «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق وهم أهل العلم» ص ٢٩٣.

- صحيح مسلم بشرح النووي، ج١٣، كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم، ص ٦٧.

- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، م٧، أبواب العلم، باب إذا أراد الله بعبد خيراً فقهه في الدين، ص ٤٠٤.

- شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، ج٤، كتاب الجامع، جامع ما جاء في أهل القدر، ص ٣١٠، ٣١١، ٣١٢.

- الرواي:

معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي أمير المؤمنين. ولد قبل البعثة بخمس سنين. على اختلاف

الروايـات، وأمه هي هند بنت عتبـة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبـد مناف بن قصي.

قيل إنه أسلم قبل أبيـه وقت عمرة القضاء، وبقي يخاف من اللحـاق بالنبي ﷺ من أبيه، ولكن ما ظهر إسلامه إلا يوم الفتح.

حـدث عن النبي ﷺ وكتب لـه مـرات يسيرة، وحـدث أيضـاً عن أختـه أم المؤمنين أم حبيبة وعن أبي بكر وعمر.

ذكـر ابن أبي الدنيـا وغيره أن معـاوية كـان طـويلاً أبيض جميـلاً إذا ضحك انقلبت شفته العليا وكان يخضب.

وشهـد مع رسول الله ﷺ حنينـاً فأعطـاه من الغنائم مـائة من الإبل وأربعين أوقية.

عن عبـد الـرحمن بن أبي عميرة المزني - وكـان من أصحـاب النبي ﷺ - أن النبي ﷺ قال لمعاوية: اللهم علمه الكتاب والحساب وقه الضراب.

قال المدائني: كان عمر إذا نظر إلى معاوية قال: هذا كسرى العرب.

عن مجالـد عـن الشعبي قـال: أرسلت أم حبيبـة إلى أهل عثمان أرسلـوا إليّ بثياب عثمان التي قتل فيها فبعثوا بقميصه بالدم وبالخصلة التي نتفت من لحيته ودعت النعمان بن بشير فبعث بـه إلى معـاويـة فصعـد معـاويـة إلى المنبر ونشر القميص وجمع الناس ودعا إلى الطلب بـدمه، فقام أهل الشام وقـالوا: هو ابن عمك وأنت وليه ونحن الطالبون معك بدمه. فكانت معركة صفين.

ولما قتل أمير المؤمنين عليّ بايع أهل العـراق ابنه الحسن وتجهزوا لقصـد الشام في كتائب أمثال الجبال، وكان الحسن لا يـرى حقن الدماء، ويكره الفتن فبايع معاويـة على أن جعل له العهد بالخلافـة من بعده وبذلك خمدت الفتنـة. وهذا

مصداق قول النبي ﷺ في الحسن: إن ابنه هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين.

ثم إن معاوية أجاب إلى الصلح وسرُ بذلك، ودخل هو والحسن الكوفة راكبين، وتسلم معاوية الخلافة في آخر ربيع الآخر، وسمى عام الجماعة لاجتماعهم على إمام، وهو عام واحد وأربعين.

عن المغيرة عن الشعبي قال: أول من خطب جالساً معاوية حين سمن. وعن ميمون بن مهران قال: أول من جلس على المنبر واستأذن الناس معاوية فأذن له. وقال الزبير بن بكار: كان معاوية أول من اتخذ الديوان للختم، واتخذ المقاصير في الجامع، وأول من قام على رأس حرس، وأول من اتخذ الخدام الخصيان في الإسلام.

قال أبو عمرو بن العلاء: لما احتضر معاوية قيل له: ألا توصي؟ فقال: اللهم أقل العثرة، واعف عن الزلة، وتجاوز بحلمك عن جهلي، وقال: هو الموت لا منجى من الموت والذي نحاذر بعد الموت أدهى وأفظع. ومات - رضي الله تعالى عنه - في رجب سنة ستين وعاش سبعاً وسبعين سنة. مسنده فيه مائة وثلاثة وستون حديثاً، واتفق له البخاري ومسلم على أربع أحاديث، وانفرد البخاري بأربعة ومسلم بخمسة[1].

- المعاني اللغوية:

الفقه بالكسر: العلم بالشيء، والفهم له والفطنة، وغلب على علم الدين لشرفه، وعُرفا العلم بالأحكام الشرعية.

---

(١) سير أعلام النبلاء، ج٣، ص ١١٩ ـ ١٦٢؛ باختصار وتصرف. والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر، م٣ حرف الميم، القسم الأول ص ٤٣٣، ٤٣٤.

قال الحسن البصري: الفقيه هو الزاهد في الدنيا، الراغب في الآخرة البصير بأمور دينه، المداوم على عبادة ربه.

والفقيه قد فسروه بالعلم بالشيء والفهم له وكذا بالفطنة في أغلب المعاجم وقال الراغب: الفقه: هو التوصل بعلم شاهد إلى علم غائب. قال السيوطي: إنه أخص من العلم.

وذكر الحكيم الترمذي أن الفقه بالشيء هو معرفة باطنة والوصول إلى أعماقه فمن لا يعرف من الأمور إلا ظواهرها لا يسمى فقيهاً.

وذكر أصحاب المعاجم أن اسم الفقه غلب على علم فروع الشريعة، أي من العبادات والمعاملات.

وذكر الغزالي أن اسم الفقه في العصر الأول كان مطلقاً على طريق الآخرة، ومعرفة دقائق آفات النفوس ومفسدات الأعمال، وقوة الإحاطة بحقارة الدنيا، وشدة التطلع إلى نعيم الآخرة، واستيلاء الخوف على القلب، ويدلك عليه قوله تعالى: ﴿**ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم**﴾.

وقد وردت هذه المادة في عشرين موضعاً من القرآن تسعة عشر منها تدل على أن المراد به نوع خاص من دقة الفهم والعلم المتمكن من النفس، ومنه قول قوم نوح لنبيهم: ﴿**ما نفقه كثيراً مما تقول**﴾. وأما الموضع العشرون فهو قوله تعالى عن نبيه موسى: ﴿**واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي**﴾ وهو لا ينافي ما ذكر لأن فصاحة لسان الداعية إلى الدين والوعظ المنذر تعينه على تدبر ما يقول وفقهه. نقلاً من تفسير المنار، ج٩ سورة الأعراف، استعمال مادة الفقه في القرآن ص ٤٢١(١).

---

(١) تفسير المنار ـ لرشيد رضا جـ٩ ص٤٢١.

- المعنى العام :

أشاد الإسلام بالعلم والفقه، فكان لذلك أثر كبير في إغناء الحياة العلمية وإثراء المكتبة الإسلامية، ومن ثم دفع المسلمين إلى دروب العلم وساحات التعلم ودفع بهم إلى حلقات العلماء، والالتفاف إلى المشايخ في المساجد ينهلون من معينهم ويتعرفون الحقائق العلمية ويقدمون حصيلة فكرهم وتجربتهم في كتب ومراجع ومصادر كانت ولا تزال مفخرة العلم.

وقد حفلت آيات القرآن الكريم بالآيات التي تدعو إلى العلم والتفقه.

ومن المعروف أن أول آية نزلت في القرآن هي ﴿**اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم**﴾(١).

وهذه الآيات تبرز حقيقة التعليم، وتبين أهمية التفقه، وتعطي الأولية للتعلم والكتابة؛ لأن القلم كان ولا يزال أوسع وأعمق أدوات التعليم أثراً في حياة الإنسان، ولم تكن هذه الحقيقة إذ ذاك بهذا الوضوح الذي نلمسه الآن ونعرفه في حياة البشرية، ولكن الله سبحانه يعلم قيمة العلم فيشير إليه هذه الإشارة في أول لحظة من لحظات الرسالة الأخيرة للبشرية.

ثم يبرز مصدر التعليم أن مصدره هو الله ﴿**اقرأ باسم ربك**﴾ وهذا هو التفقه.

و«الفقه» فسره العلماء بالعلم بالشيء والفهم له في جل المعاجم، والراغب الأصفهاني يقول: الفقه هو التوصل بعلم شاهد إلى علم غائب، و«الفقه بالشيء» هو معرفة باطنه والوصول إلى أعماقه، فمن لا يعرف من الأمور إلا ظواهرها لا يسمى فقيهاً. قال تعالى: ﴿**لكن الراسخون في العلم منهم**

---

(١) سورة العلق: ١ ـ ٥.

والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك سنؤتيهم أجرًا عظيمًا﴾[1].

والرسوخ في العلم يشير إلى معاني التفقه في الدين وإلى معالم الخير الذي يشير إليه الحديث الذي نحن بصدده «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»، فعن أبي الدرداء وأبي أمامة قالا: «سئل رسول الله ﷺ: من الراسخ في العلم؟ قال: من برّت يمينه وصدق لسانه واستقام به قلبه وعف بطنه فذلك الراسخ في العلم». وفي رواية أنس «عف بطنه وفرجه»[2].

فالراسخ في العلم هو الذي يتفقه في الدين ويدرك أبعاد الآيات المحكمةوالمتشابه فيقول: ﴿**آمنا به كل من عند ربنا**﴾. ولذلك في منطق الإسلام لا يستوي عالم وجاهل ﴿**قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الألباب**﴾[3]. فقد رفع الله الذين أوتوا العلم وقدمهم على غيرهم ﴿**يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات**﴾[4]. ولعل السبب الرئيس في ذلك أن الإيمان الحقيقي لا يكون إلا مع العلم ﴿**إنما يخشى الله من عباده العلماء**﴾[5]. لأن العلماء هم الذين يتفقون في الدين ويتدبرون هذا الكتاب المبين، ومن ثم يعرفون الله معرفة حقيقية، يعرفونه بآثار صنعته، ويدركونه بآثار قدرته، ويستشعرون حقيقة عظمته من خلال تمعن آياته والتعمق فيها.

---

(١) سورة النساء: آية ١٦٢.
(٢) تفسير الطبري، م٣، ج٣ سورة آل عمران، ص ١٨٥ ط. دار الفكر.
(٣) سورة الزمر: ٩.
(٤) سورة المجادلة: ١١.
(٥) سورة فاطر: ٢٨.

ومن ثم يخشونه حقًّا، ويتقونه حقًّا، لا بالشعور الغامض الذي يجده القلب أمام روعة الكون، ولكنه بالمعرفة الدقيقة بمعاني «رضيت بالله ربًّا وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً» . وعلم هؤلاء العلماء ينتهي إلى إدراك وتأثر، وإلى عمل وسلوك، ومن ثم يتبعها بإقامة الصلاة والأمر بالمعروف والعناية بنشر العلم وبالإنفاق سرًّا وعلانية من رزق الله وإلى بعض هؤلاء يشير القرآن ﴿**ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا**﴾[1]. وإلى بعض هؤلاء يشير الحديث «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين» وهي تبعة ضخمة ذات تكاليف؛ لأن الفقه له مطالبه؛ قال الحسن البصري في صدد ذلك: «الفقيه هو الزاهد في الدنيا، الراغب، في الآخرة البصير بأمور دينه، المداوم على عبادة ربه. ومن تبعة الفقيه أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وينذر قومه؛ قال تعالى: ﴿**وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون**﴾[2].

فإن أولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: ليتفقه الطائفة النافرة بما تعاين من نصر الله أهل دينه وأصحاب رسوله على أهل عداوته فيتفقه بذلك من معاينة حقيقة علم أمر الإسلام وظهوره على الأديان من لم يكن فقهه ولينذروا قومهم فيحذروهم من أن ينزل بهم من بأس الله وعذابه مثل الذي نزل بمن شاهدوا وعاينوا ممن ظفر بهم المسلمون من أهل الشرك إذا هم رجعوا إليهم من غزوهم ﴿**لعلهم يحذرون**﴾ يقول: لعل قومهم إذا هم حذروهم ما عاينوا من ذلك يحذرون فيؤمنون بالله ورسوله حذراً أن ينزل بهم ما نزل بالذين أخبروا خبرهم.

---

(١) سورة فاطر: ٣٢ .

(٢) سورة التوبة: ١٢٢ .

وهو قول الحسن البصري لأن النفر قد بينا فيما مضى أنه إذا كان مطلقاً بغير صلة بشيء أن الأغلب من استعمال العرب إياه في الجهاد والغزو(١).

وهذا الوجه هو أقرب إلى الواقعية وإلى طبيعة هذا الدين؛ لأنه دين جهاد لا يفقهه إلا من يتحرك به، فالذين يخرجون في ساحة المعركة هم أولى الناس بفقهه بما يتكشف لهم من أسراره ومعانيه، وبما يتجلى لهم من آياته وتطبيقاته العملية في أثناء الحركة به، أما الذين يقعدون فهم الذين يحتاجون أن يتلقوا ممن تحركوا؛ لأنهم لم يشاهدوا ما شاهد الذين خرجوا ولا فقهوا فقههم ولا وصلوا من آثار هذا الدين إلى ما وصل إليه المتحركون، وخصوصا إذا كان الخروج مع رسول الله ﷺ والخروج بصفة عامة أدنى إلى الفهم والتفقه.

ومن معاني التفقه معرفة النفاق والمنافقين وإدراك تحركاتهم ومعرفة مدى خطورتهم، ففي غزوة تبوك اتخذ المنافقون أكثر من موقف وحاولوا بلبلة الصف، فكشف الله تعالى النقاب عن وجوههم ببركة دعاء الرسول ﷺ ويقظته الدائمة. ومن هذه المواقف قال محمود بن لبيد: لقد أخبرنا رجال من قومي عن رجل من المنافقين معروف نفاقه كان يسير مع رسول الله ﷺ حيث سار، فلما كان من أمر الناس بالحجر ما كان ودعاء رسول الله ﷺ حين دعا فأرسل الله السحابة فأمطرت حتى ارتوى الناس قالوا: أقبلنا عليه نقول: ويحك هل بعد هذا شيء! قال: سحابة مارة.

لنا أن نتصور أن السحاب في مكان يقال له الحجر، وهم في الطريق إلى تبوك يعانون قلة المياه ويشكون إلى الرسول ﷺ من العطش، فدعا رسول الله ﷺ فأرسل الله سحابة فأمطرت حتى ارتوى الناس من الماء ومن الإيمان ومن اليقين

---

(١) جامع البيان للطبري م٧، ج١١، تفسير سورة التوبة، ص ٧٠.

على معجزة الرسول، إلا أن منافقاً واحداً يقول: إنها سحابة مارة. وهكذا بدأ الناس يدركون ما هو النفاق؟ وماذا يريد المنافقون ؟

وموقف آخر «ثم إن رسول الله ﷺ سار حتى إذا كان ببعض الطريق ضلت ناقته فقال زيد بن اللصيت وهو منافق: أليس محمد يزعم أنه نبي ويخبركم خبر السماء وهو لا يدري أين ناقته؟ وبلّغ الرسول ﷺ بهذا الخبر فقال: إني والله ما أعلم إلا ما علمني الله وقد دلني الله عليها وهي في هذا الوادي في شعب كذا وكذا قد حبستها شجرة بزمامها فانطلقوا حتى تأتوني بها. فذهبوا فجاءوا بها. فقام أحد الصحابة وهو عمارة بن حزم وانطلق إلى زيد بن اللصيت المنافق يجأ في عنقه، ويقول له: اخرج أي عدو الله من رحلي فلا تصحبني.

هذه إحدى معاني ﴿**فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين**﴾. وفي هذه الغزوة أمر الرسول ﷺ بهدم مسجد الضرار، ونزل فيه من القرآن ﴿**والذين اتخذوا مسجدًا ضرارًا وكفرًا وتفريقًا بين المؤمنين وإرصادًا لمن حارب الله ورسوله**﴾[1].

وقوله ﷺ: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين» يشتمل على ثلاثة أحكام، أحدها فضل التفقه في الدين، ثانيها أن المعطي في الحقيقة هو الله، وثالثها أن بعض هذه الأمة يبقى على الحق أبداً. وقد ذكر ابن حجر في الفتح (أنه من جهة إثبات الخير لمن تفقه في دين الله وأن ذلك لا يكون بالاكتساب فقط بل لمن يفتح الله عليه به، وأن من يفتح الله عليه بذلك لا يزال جنسه موجوداً حتى يأتي أمر الله. وقد جزم البخاري بأن المراد بهم أهل العلم بالآثار. وقال أحمد بن حنبل إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم[2]. وقد جاء لفظ «خيراً»

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام، م٢ ـ القسم الثاني، ج٣، ٤، ص ٥٢٢ ـ ٥٣٠.

(٢) فتح الباري ـ كتاب العلم ـ باب (من يرد الله به خيراً يفقه في الدين).

نكـرة للشمـول والتعظيم. قـال الحافظ: نكّـر «خيراً» ليشمل القليل والكثير، والتنكير للتعظيم؛ لأن المقـام يقتضيـه، ومفهـوم الحديث أن مـن لم يتفقـه في الدين، أي يتعلم قواعد الإسلام وما يتصل بها من الفروع فقد حرم الخير[1].

وقولـه «وإنما أنا قـاسم والله يعطي» من باب قصر القلب، والمعنى مـا أنا إلا قاسم، فيكـون من قصر الإفراد، ومعنـاه أنا أقسم بينكم، فألقـي إلى كل واحد ما يليق به، والله يوفق من يشاء منكم لفهمه والتفكر في معناه.

وقال النوربشتي: اعلم أن النبي ﷺ أعلم أصحابه أنه لم يفضل في قسمة ما أوحى الله إليـه أحداً من أمتـه، بل سوى في البـلاغ، وعدل في القسمـة، ولقد كـان بعض الصحـابـة - رضي الله عنهم - يسمع الحديث فـلا يفهم منـه إلا الظاهـر الجلي، ويسمعه منه الآخر فيستنبط منـه مسائل كثيرة. وذلك فضل الله يؤتيـه من يشاء[2]. ومن خلال دراسـة الأحاديث والسيرة النبويـة يتجلى لنا أن الرسول ﷺ كان ينمي في أصحابه قـدرات التفقه، ومن أبرز هؤلاء الذين من الله عليهم من فضلـه وعلمه علي بن أبي طـالب - رضي الله تعالى عنـه - فقد امتـاز بـالتفقـه في الـدين، وإدراك أسرار الشريعـة من القـرآن والحديث حتى خـالج بعض الناس الشـك في أن الرسول ﷺ خصـه بعلم دون غيره. عن الشعبي عن أبي جحيفة قال: قلت لعلي: هل عندكـم كتاب قال: لا، إلا كتاب الله أو فهم أعطيه رجل مسلم أو ما في هذه الصحيفة. قال: قلت: فما في هذه الصحيفة؟ قـال: العقل وفكـاك الأسير ولا يقتل مسلم بكافـر. والمراد من قـول علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - مـن كلمة الفهم ما يفهمه الرجـل من فحوى الكلام،

---

(١) تحفة الأحوذي م٧ ـ أبواب العلم ـ باب (إذا أراد الله بعبد خيراً فقهه في الدين) ص ٤٠٤.
(٢) عمدة القارئ ج٢ ص ٥١ ـ باب كتابة العلم.

ويدرك من بواطن المعاني التي هي غير ظاهرة من نصه كوجوه الأقيسة والمفاهيم وسائر الاستنباطات[1].

وهذا الفهم الخاص والتفقه في الدين كان يتعمق أيضاً، ويرسخ في قلوب بعض الصحابة ببركة دعاء الرسول ﷺ لهم بأساليبه التربوية الراقية «عن عكرمة عن ابن عباس قال: ضمني رسول الله ﷺ وقال: اللهم علمه الكتاب». وللنسائي والترمذي من طريق عطاء عن ابن عباس قال: «دعا لي رسول الله ﷺ أن أوتى الحكمة مرتين» وفي رواية بلفظ «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل».

وببركة هذا الدعاء تبحر ابن عباس - رضي الله تعالى عنه - في العلوم الشرعية وفي معرفة التفسير. واختلف الشراح في المراد بالحكمة، فقيل: القرآن. وقيل: العمل به. وقيل: السنة. وقيل: نور يفرق به بين الإلهام والوسواس. وقيل: سرعة الجواب مع الإصابة. والأقرب أن المراد به في حديث ابن عباس الفهم في القرآن[2].

عن عبد الرحمن بن عوف قال: سمعت معاوية بن أبي سفيان وهو يخطب يقول: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين وإنما أنا قاسم ويعطي الله». ويقول النووي رحمه الله: معناه أن المعطي حقيقة هو الله ولست أنا معطياً، وإنما أنا خازن على ما عندي، ثم أقسم ما أمرت بقسمته على حسب ما أمرت به، فالأمور كلها بمشيئة الله والإنسان مصرف مربوب[3].

---

(١) عمدة القارئ، ج٢ ص ١٦٠ (باب كتابة العلم).
(٢) فتح الباري ـ كتاب العلم ـ باب قول النبي ﷺ (اللهم علمه الكتاب) م١ ص ١٧٠.
(٣) صحيح مسلم بشرح النووي، ج٧ ـ باب النهي عن المسألة، ص ١٢٨ ـ ١٢٩.

ومن باب التصريف واتخاذ الأسباب كان ﷺ ينمي في صحابته معاني الفقه. عن معاذ قال: لما بعثني النبي ﷺ إلى اليمين قال لي كيف تقضي إن عرض قضاء؟ قال: كنت أقضي بما في كتاب الله، فإن لم يكن فبما قضى به رسول الله ﷺ قال: فإن لم يكن بما قضى به الرسول؟ قال: أجتهد رأيي ولا آلو. فضرب صدري، وقال: الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله.

وأولى النبي ﷺ عناية خاصة بالأذكياء وصغار الصحابة لصقل مواهبهم وتنمية قدراتهم في الفقه، واستمرت هذه المحاولة مع معاذ، فعن معاذ: «بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن فلما سرى أرسل في أثري، فرددت، فقال: «أتدري لم بعثت إليك؟! لا تصيبن شيئاً بغير علم فإنه غلول ﴿**ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة**﴾». آل عمران: ٦١.

وبذلك يحثه ﷺ على الاستزادة في العلم والنهل منه.

ومثال آخر عن أبي موسى أن النبي ﷺ لما بعثه ومعاذاً إلى اليمن قال لهما: «يسرا ولا تعسرا وتطاوعا ولا تنفرا» وهذه الفقرة تشير إلى أنه ﷺ كان يريد التيسير في الأمور الفقهية، وينهى عن التنطع في الدين. وظل ﷺ يعطي عناية خاصة بالأذكياء والموهوبين لتنمية قدراتهم حتى ظهرت على الساحة مجموعة من الفقهاء. عن محمد بن سالم بن أبي حثمة عن أبيه قال: كان الذين يفتون على عهد رسول الله ﷺ ثلاثة من المهاجرين: عمر وعثمان وعلي، وثلاثة من الأنصار: أبي بن كعب ومعاذ وزيد.

وعن أنس مرفوعاً: «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدها في دين الله عمر، وأصدقها حياءً عثمان، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ، ولكل أمة أمين، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة».

وعن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «معاذ بن جبل أعلم الناس بحرام الله وحلاله».

ولذلك لما فتح رسول الله ﷺ مكة استخلف عليها عتاب بن أسيد يصلي بهم وخلف معاذاً يقرئهم ويفقههم(١).

وهذه بعض النماذج التي يشير إليها الحديث «إنما أنا قاسم والله يعطي». فالرسول ﷺ يقسم الوحي والعلم على جميع الصحابة بالعدل، والله يوفق البعض منهم حتى يرسخ في العلم وينفعه في الدين ويتمعن فيه، حتى يشار إليه بالبنان، ويعرف عنه الفقه، ويوسم بأنه فقيه.

قال ﷺ: «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً، فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصابت منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ. فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به».

والحديث السابق يشرح قول الرسول ﷺ: «إنما أنا قاسم والله يعطي»، ففي هذا الحديث يقول ابن حجر: «أنه شبه السامعين له بالأرض المختلفة التي ينزل بها الغيث، فمنهم العالم العامل فهو بمنزلة الأرض الطيبة شربت فانتفعت في نفسها وأنبتت فنفعت غيرها، ومنهم الجامع للعلم المستغرق لزمانه فيه غير أنه لم يعمل بنوافله أو لم يتفقه فيما جمع، لكنه أداة لغيره فهو بمنزلة الأرض التي يستقر فيها الماء فينتفع الناس به، وهو المشار إليه بقوله «نضر الله امرأ سمع

(١) سير أعلام النبلاء ج١، معاذ بن جبل، ص ٤٤٤ ـ ٤٥١ باختصار وتصرف.

مقالتي فأداها كما سمعها»، ومنهم من يسمع العلم فلا يحفظه ولا يعمل به ولا ينقله لغيره فهو بمنزلة الأرض السبخة أو الملساء التي لا تقبل الماء أو تفسده على غيرها»(١).

«إنما أنا قاسم والله يعطي» الآيات القرآنية تنزل كالغيث الكثير وبعض القلوب والعقول تكون أكثر استعداداً لتلقي هذا الغيث والارتواء منه. ونبي الهدى ﷺ يكتشف هذه القلوب ويدرك مدى إمكاناتها للتفقه فيوليه عناية خاصة، ومنهم زيد بن ثابت. روى خارجة عن أبيه قال: «أتي بي إلى النبي ﷺ مقدمة المدينة فقالوا: يا رسول الله هذا غلام من بني النجار وقد قرأ مما أنزل عليك سبع عشرة سورة فقرأت على رسول الله ﷺ فأعجبه ذلك، وقال: يا زيد تعلم لي كتاب يهود فإني والله ما آمنهم على كتابي. قال: فتعلمته فيما مضى لي نصف شهر حتى حذقته وكنت أكتب لرسول الله ﷺ إذا كتب إليهم».

ويلمح الرسول ﷺ ملامح الذكاء والتفقه فتزداد عنايته به فيخاطبه الرسول قائلاً: «يا زيد أتحسن السريانية قلت: لا. فتعلمتها في سبعة عشرة يوماً».

ومن عنايته ﷺ بزيد أنه إذا نزل عليه الوحي قال: «ادعوا لي زيدا وقل له يجيء بالكنف والدواة قال: فقال: اكتب ﴿**لا يستوي القاعدون**﴾(٢).

وكان - رضي الله عنه - من أبرز من جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ يقول: فكنت أتتبع القرآن أجمعه من الرقاع والأكتاف والعسب وصدور الرجال، وكان فقيهاً عالماً بالفرائض. عن أنس عن النبي ﷺ: «أفرض أمتي زيد بن ثابت»(٣).

---

(١) فتح الباري، م١ ـ كتاب العلم ـ باب فضل من عَلِمَ وعَلَّم، ص ١٧٧.
(٢) سورة النساء: ٨٤.
(٣) سير أعلام النبلاء، ج٢، زيد بن ثابت، ص ٤٢٧ ـ ٤٣٧.

والفقه عنـد الأصوليين العلم بالأحكام الشرعيـة الفرعية المكتسبـة من أدلتها التفصيلية .

والفقيه عند الفقهـاء من حفظ الفروع مطلقاً وعلم الأحكام الشرعيـة الفرعية التي توصف بها أفعال العبـاد والمكلفين من الوجوب والندب والإبـاحة والحرمة وغيرها .

وهذه المفـاهيم بـدأت ترسخ في أذهـان الناس بعـد الخبرة والمراس والاتصال بكبار الصحابة وتوجيه الأسئلـة الفقهية إلى المعروف منهم والتفاف طلاب العلم حول الفقهاء منهم .

روى الشعبي عن مسروق قـال : كان أصحـاب الفتوى من أصحـاب رسول الله ﷺ عمر وعلي وابن مسعود وزيد وأبيّ وأبو مـوسى ، ثم تطورت مسألة الفقه إلى المسائل القضـائية الـدقيقة فـانحسرت في أربعة . عن الشعبي قـال : القضاة أربعة : عمر وعلي وزيد وابن مسعود(١) .

وقد بدأ التفقه في الدين يأخذ طـابعاً علميًّا يكاد يكون نواة المدارس الفقهية . عن مسروق قال : شامت أصحاب محمـد ﷺ فوجدت علمهم انتهى إلى ستة : علي وعمر وعبد الله وزيـد وأبي الدرداء وأبيّ ، ثم شامت الستة فـوجدت علمهم انتهى إلى علي وعبد الله .

- نواة المدرسة الفقهية :

وبهذه الصـورة بدأت تظهـر معالم المدرسـة الفقهية والطـابع الفقهي الخاص للمميزين من الصحـابة . قال معمـر: عامـة علم ابن عباس من ثلاثـة : عمر وعليّ وأبيّ . وكأن ابن عبـاس - رضي الله تعـالى عنـه - تتلمـذ على الكثير من

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٤٣٣ - ٤٣٤ .

الصحابة ولكنه اصطبغ بالصبغة العلمية الدقيقة، وخصوصا في المسائل الفقهية لهؤلاء الثلاثة.

وكانت طريقة الصحابة في التفقه والتعرف على الأحكام هي النظر أولاً في كتاب الله يتفهمونه حتى يصلوا إلى ما يريدون، ثم يلجأون إلى السنة النبوية، فهي المصدر الثاني للتشريع والفقه، فإن لم يجدوا بحثوا في الأمثال والأشباه مراعين في ذلك المصالح التي رعتها الشريعة الغراء، يفسر ذلك مقالة علي بن أبي طالب في عقوبة شارب الخمر «إنه إذا شرب سكر، وإذا سكر هذى، وإذا هذى افترى، وحد المفترين ثمانون»(١).

ففي ذلك قياس شارب الخمر على من يرمي محصنة عفيفة بالزنى كذباً، والمعنى الجامع بينهما هو الافتراء والكذب. وهذا مقال دقيق لفهم فقرة الحديث «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين».

وعلى هذا الأساس ازداد فقه الصحابة ونسج بعضهم على منوال بعض حتى ظهرت معالم المدرسة الفقهية. قال الشعبي: يؤخذ العلم عن ستة: عمر وعبدالله وزيد يشبه علمهم بعضهم بعضاً، وكان علي وأبي وأبو موسى يشبه علمهم بعضهم بعضاً يقتبس بعضهم من بعض.

«ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله» ويظهر بجلاء أن فقرات الحديث مرتبط بعضها ببعض؛ فالذين تفقهوا في الدين كما تفقه الصحابة رضوان الله عليهم وظهروا في صورة المدارس الفقهية أمثال هذه الطائفة تظل مستقيمة حتى تقوم الساعة. «ولا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك». ولهم من حديث جابر مثله لكن قال: «يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة». ولهم من حديث معاوية قوله:

---

(١) أصول الفقه، للدكتور بدران أبو العينين بدران ص ٢٨.

«وهم أهل العلم». وأخرج الترمذي حديث الباب ثم قال: سمعت محمد بن إسماعيل هو البخاري يقول: سمعت علي بن المديني يقول: هم أصحاب الحديث[1]. وفي رواية يزيد بن الأصم«ولا تزال عصابة من المسلمين ظاهرين على من ناوأهم إلى يوم القيامة». ووقع في حديث أبي أمامة أنهم ببيت المقدس، وفي حديث أبي هريرة في الأوسط للطبراني «يقاتلون على أبواب دمشق وما حولها وعلى أبواب بيت المقدس وما حوله لا يضرهم من خذلهم ظاهرين إلى يوم القيامة»[2].

قال النووي: ويحتمل أن هذه الطائفة مفرقة بين أنواع المؤمنين، منهم شجعان مقاتلون، ومنهم فقهاء، ومنهم محدثون، ومنهم زهاد وآمرون بالمعروف وناهون عن المنكر، ومنهم أهل أنواع أخرى من الخير، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين، بل قد يكونون متفرقين في أقطار الأرض[3]. ويجوز أن يجتمعوا في البلد الواحد وأن يكونوا في بعض منه دون بعض، ويجوز إخلاء الأرض كلها من بعضهم أولا فأولا، إلى أن لا يبقى إلا فرقة واحدة ببلد واحد فإذا انقرضوا جاء أمر الله[4].

وبهذه الروايات وتواترها يزداد المسلم إيماناً وتفاؤلاً بنصر الله لهذا الدين فيتحمس لنشره، ويندفع للدفاع عنه، ويستعذب التضحية والفداء والابتلاء في سبيله، وقد درس العلماء هذا الموضوع دراسة وافية لإبراز معالم هذه الأمة

---

(١) فتح الباري، ج١٣، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ــ باب قول النبي ﷺ: لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق ص ٢٩٤.

(٢) المصدر نفسه ص ٢٩٥.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي، ج١٣، باب قوله ﷺ: لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين ص ٦٧.

(٤) فتح الباري، ج١٣، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق وهم أهل العلم»، ص ٢٩٥.

القائمة على أمر الله، والمنصورة حتى يأتي أمر الله، نذكر بعض خصائصها: فيما يلي:

١ - أنها على الحق وهي ملتزمة بالدين الصحيح الذي هو الحق من العلم الصحيح المبني على الدليل والبرهان الساطع المستمد من كتاب الله وسنة رسوله.

٢ - أنها قائمة بأمر الله أي أنها تحمل راية الدعوة إلى الله وتهتم بنشر السنة بين الناس وتدفع الشبهات عنها عبر السنين وترد على من يخالف من الكفرة والمرتدين بالحكمة وبالوسائل المتجددة. وأنها تهتم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بكل الوسائل الممكنة.

٣ - وتقوم أيضاً بواجب الجهاد والقتال في سبيل الله. وإلى هذا يشير الحديث الشريف «والخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة الأجر والمغنم».

والمقصود والله أعلم أن الجهاد لا ينقطع انقطاعاً، بل لا يزال في الأمة طائفة منصورة تجاهد في سبيل الله أعداء الله، ولكن هذا لا يعارض ما وجد في بعض الأمكنة من تقصير في أمر الجهاد.

٤ - أنها المجددة للأمة أمر دينها، وهذه الطائفة تتمتع بصفات فقهية وعلمية وتكون مؤهلة لإحياء الدين وتجديده بالوسائل المطورة عبر الأيام والسنين وتتضاعف مسئوليتها وتعظم كلما ازداد الشر والفساد في الأمة. والتجديد إنما يكون بعد الدرس وذاك هو غربة الإسلام[1]. وإلى هذا يشير قوله تعالى ﴿**يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه**﴾[2].

---

(١) الفتاوى، لابن تيمية، ج١٨ ص ٢٩٧.

(٢) المائدة: ٥٤.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها»(١).

وقد وصفت الأحاديث هذه الطائفة بكونهم ظاهرين على الحق، والظهور له عدة معانٍ:

الأول: بمعنى الوضوح والبيان وعدم الاستتار.

والثاني: ثبات ما هم عليه من الحق والدين. ويدخل في هذا المعنى الغلبة بالحجة والبيان وسيطرة المنطق على العقول والقلوب.

والمعنى الثالث: الظهور بمعنى الغلبة وإلى هذا المعنى مال الحافظ ابن حجر رحمه الله(٢).

وقد ورد عن الأئمة أقوال كثيرة في تحديد الطائفة المنصورة، وقد سبق أن أشرنا إليها(٣).

- فقه الحديث:

١ - التفقه في الدين وطلب العلوم الشرعية فرض عين. «ومفهوم الحديث أن من لم يتفقه في الدين، أي لم يتعلم قواعد الإسلام وما يتصل بها من الفروع فقد حرم الخير»(٤).

عرف الغزالي الفقه فقال: هو عبارة عن العلم والفهم بأصل الوضع. يقال فلان يفقه الخير والشر أي يعلمه ويفهمه، والفقه عند العلماء هو العلم بالأحكام الشرعية.

---

(١) رواه أبو داود، حديث ٣١. كتاب الملاحم. باب ما يذكر في قرن المائة برقم ٢٩١، ج٤ ص٢٠٨.

(٢) انظر فتح الباري ج١٣، ص ٢٩٤.

(٣) راجع كتاب صفة الغرباء، لسلمان بن فهد العودة.

(٤) فتح الباري ج١، كتاب العلم باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ص ١٦٥.

وجاء في التعريفات للجرجاني «الفقه في اللغة عبارة عن فهم غرض المتكلم من كلامه» ومن هذه التعريفات يتضح أن الفقه في اللغة العلم بالشيء وتفهمه والوصول إلى أعماقه.

- ما يستفاد من الحديث:

١ - خص الله بالخير المتفقهين في الدين الراسخين في العلم، وهم العلماء الفقهاء لأنهم يستشعرون حقيقة عظمة الله تعالى خلال تمعنهم في آياته، وتعمقهم في آثار نبيه، ومن ثم يخشونه حقًّا ويتقونه حقًّا ﴿**إنما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ**﴾.

٢ - الحديث يشير إلى أن التفقه في الدين لا يكون بالاكتساب فقط بل لمن يفتح الله عليه به. وأن من يفتح الله عليه بذلك لا يزال جنسه موجوداً حتى يأتي أمر الله. وكأنه ﷺ بذلك يحث طلاب العلم على ضرورة الالتفاف بالعلماء والارتواء من مناهلهم والاستزادة من علومهم حتى يوفق طالب العلم بالفقه.

٣ - يشير الحديث إلى مكانة العالم، ويعلم الطالب أدب التحصيل لينال الرضا من العالم ويظفر بالدعاء منه كما دعا ﷺ لعبد الله بن عباس فقال: «اللهم فقهه في الدين وعلم التأويل».

٤ - «ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله».

هذه الجماعة تمتاز بالاستقامة في الاعتقاد والاستقامة في الهدي والسلوك والاستعانة للجهاد بالنفس والمال والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة الحجة على العالمين والاستقامة في الحرص على توفير أسباب النصر المادية والمعنوية واستجماع المقومات التي يستنزل المؤمنون بها نصر الله.

الحديث الرابع والثلاثون: الاغتباط في العلم والحكمة أو «الحسد المباح»

حدثنا الحميدي قال : حدثنا سفيان قال : حدثني إسماعيل بن أبي خالد - على غير ما حدَّثناه الزهري - قال : سمعت قيس بن أبي حازم قال : سمعت عبد الله بن مسعود قال : قال النبي ﷺ : « **لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله مالاً فسُلِّط على هلكته في الحق ، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها** » .

- تخريج الحديث :

- الجامع الصحيح للبخاري ، ج١ ، كتاب العلم - (١٥) باب الاغتباط في العلم والحكمة ، حديث رقم ٧٣ ، وكتاب الزكاة - ، (٥) باب إنفاق المال في حقه حديث رقم ١٤٠٩ ، وج٤ كتاب الأحكام - (٣) باب أجر من قضى بالحكمة حديث رقم ٧١٤١ ، وكتاب الاعتصام بالسنة - (١٣) باب ما جاء في اجتهاد القضاء بما أنزل الله تعالى ومدح النبي ﷺ صاحب الحكمة حين يقضي بها ويعلمها ولا يتكلف من قبله ومشاورة الخلفاء وسؤالهم أهل العلم ، حديث رقم ٧٣١٦ ، وكتاب التمني - (٥) باب تمني القرآن والعلم ، حديث رقم ٧٢٣٢ ، وكتاب التوحيد - (٤٥) باب قول النبي ﷺ : رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ، ورجل يقول لو أوتيت مثل ما أوتي هذا فعلت كما يفعل ، فبين الله أن قيامه بالكتاب هو فعله . حديث رقم ٧٥٢٨ .

- مسند أحمد ، ج٢ ص ٩ ، ص ٣٦ .

- المعاني اللغوية :

حَسَدَهُ الشيءَ، وعليه، يَحْسِدُه ويَحْسُدُه حَسَداً وحُسُوداً وحَسَادَةً وحَسَّدَه: تمنى أن تتحول إليه نعمته وفضيلته، أو يُسْلَبَهُمَا. وحَسَدَنِي الله إن كنتُ أَحْسُدُكَ، أي عاقبني على الحسد.

وتحاسَدُوا: حَسَدَ بعضهم بعضاً[1].

حسد: الحسد تمني زوال النعمة عن الغير سواء أكان مستحقًّا لها في نظره أم غير مستحق، وربما كان مع ذلك سعي في إزالتها. والمراد به هنا الحسد الخاص وهو الغبطة.

وفي مجمع الغرائب: الحسد: أن يرى الإنسان لأخيه نعمة فيتمنى أن تكون له وهو مذموم، والغبطة أن يرى النعمة فيتمناها لنفسه من غير أن تزول عن صاحبها وهو محمود.

وقال ثعلب: المنافسة: أن يتمنى مثل ماله من غير أن يفتقر وهو مباح ويُقال الحسد: تمني زوال النعمة عن المنعم عليه. وبعضهم خصه أن يتمنى ذلك لنفسه.

وفي الصحاح: يحسدُه حسُوداً، وقال الأخفش: وبعضهم يقول: يحسِده بالكسر، والمصدر حَسَدٌ بالتحريك وحُسادَه وهم قوم حَسَدة.

الحِكْمَةُ، بالكسر: العَدْلُ، والعِلْمُ، والحِلْمُ، والنبوة، والقرآن، والإنجيل.

الحكمة إصابة الحق بالعلم والعقل، فمن أوتي الحكمة فقد أوتي علماً واسعاً.

الحكمة المراد بها القرآن، والله أعلم، كما جاء في حديث أبي هريرة «لا حسد

---

(١) راجع القاموس المحيط، فصل الحاء باب الدال.

إلا في اثنتين: رجل علمه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل والنهار، ورجل آتاه الله مالاً فهو يهلكته» وفي رواية «ينفق في الحق».

سلّطه: المراد أن الله مكّنه وأقدره على الإنفاق.

الحق: المراد بالحق هنا للفعل الواقع بحسب ما يجب فيكون الإنفاق في الأوجه المطلوبة شرعاً[1].

- المعنى العام:

الإسلام دين الشمولية، دين السمو والشرف دين الأخوة والمحبة، دين الوئام والإيناس، يقول ﷺ: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» ويلخص الرسول رسالته في هذا الهدف النبيل، وتتوارد أحاديثه تترى في الحض على كل خلق كريم، وتقدم سيرته الشخصية مثالاً حيًّا ونقيًّا لهذا الهدف وصورة رفيعة تشير إليها الآية ﴿**وإنك لعلى خلق عظيم**﴾ فيمجد الله تعالى بهذا الثناء نبيه ﷺ، كما يمجد به العنصر الأخلاقي في منهجه الذي جاء به هذا النبي الكريم وهو منهج يغرس العقيدة، ويربي الفرد المؤمن على الخلق الكريم، ويحارب كل خلق معوج، وكل صفة مكروهة من حسد وبغض وكراهية ومن حب للانتقام والثأر ونحوها إلى التسامح والتآخي، وهي عادات وصفات تعتبر من أبرز أخلاقيات الإسلام، فهي أخلاقيات لم تنبع من البيئة ولا من اعتبارات أرضية، ولا تستمد ولا تعتمد على اعتبار من اعتبارات العرف أو المصلحة، إنما تستمد كل ذلك من القرآن الكريم ومن أسوة الرسول ﷺ. ثم إنها ليست فضائل مفردة: صدق وعدل وأمانة ورحمة، إنما هي منهج متكامل تتعاون فيها التربية التهذيبية مع الشرائع التنظيمية، وتقوم عليها فكرة الحياة كلها واتجاهاتها جميعاً وتنتهي في خاتمة المطاف إلى الله. وهذا الحديث «لا حسد إلا في اثنتين» وحدة

---

(١) راجع عمدة القارئ، م١، ٢ ص ٥٦، باب الفهم في العلم.

من وحدات هذه السلسلة المباركة لغرس المعاني النبيلة والعادات الحسنة في النفس المؤمنة الممتثلة لأوامر الله ونواهيه.

«لا حسد إلا في اثنتين» المراد لا حسد مباح في شيء من الأشياء إلا في اثنتين أو المعنى لا رخصة في الحسد في شيء إلا في اثنتين، فإن قلت ما في هاتين الاثنتين (غبطة) وهو غير معنى الحسد، هاهنا شدة الحرص والرغبة كنى بالحسد عنهما لأنهما سببه والداعي إليه، ولهذا سماه البخاري اغتباطاً. وذكره في فضائل القرآن في باب اغتباط صاحب القرآن[1].

ومغزى الحديث وهدفه يكمن في الترغيب في تحصيل العلم والتصدق بالأموال. إذا وقفنا عند قوله تعالى ﴿**ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله إن الله كان بكل شيء عليما**﴾[2]. لرأينا النهي عن التمني، فكيف بالحسد؟ والظاهر الذي يتراءى لكثير من السلف أن المقصود بالحسد المذكور في الحديث هو الغبطة، وأطلق الحسد عليها مجازاً، وهي أن يتمنى أن يكون له مثل ما لغيره من غير أن يزول عنه، والحرص على هذا يسمى منافسة ﴿**وفي ذلك فليتنافس المتنافسون**﴾[3].

والحديث هنا يشرح الآية المذكورة ويوجه المؤمن وجهة طيبة يكون بها البناء لا الهدم، وذلك بفتح باب المنافسة، باب الخير؛ لأن الذين يتنافسون على شيء من أشياء الأرض مهما كبر وجل وارتفع وعظم، إنما يتنافسون في حقير قليل، لأن الدنيا لا تزن عند الله جناح بعوضة، ولكن الآخرة ثقيلة في ميزانه، فهي إذن

---

(١) راجع عمدة القارئ، م١، ٢ ص ٥٦، باب الفهم في العلم.
(١) عمدة القارئ، م١، باب الفهم في العلم ص ٥٦.
(٢) سورة النساء: ٣٢.

حقيقة تستحق المنافسة فيها والمسابقة، وهو علاج للأمراض الموجودة في النفس الأمارة بالسوء من حسد وحقد وكراهية وصرف هذه الطاقة في أمر الآخرة يرتفع بأرواح المتنافسين جميعاً، بينما التنافس في أمر الدنيا ينحط بها جميعاً. والسعي لنعيم الآخرة يصلح الأرض ويعمرها ويطهرها للجميع، والتنافس في نعيم الآخرة لا يدع الأرض خراباً كما قد يتصور البعض، إنما يجعل الإسلام الدنيا مزرعة الآخرة، وإن في قوله تعالى ﴿**وفي ذلك فليتنافس المتنافسون**﴾ توجيها يمد بأبصار أهل الأرض وقلوبهم وراء رقعة الأرض الصغيرة والحياة الفانية الحقيرة إلى التنافس في الأمور المهمة المحققة لفوز الآخرة، وذلك من خير الوسائل لمحاربة الأمراض الفتاكة، وأبرز هذه الأمراض هو الحسد والغل؛ قال تعالى: ﴿**قل أعوذ برب الفلق * من شر ما خلق * ومن شر غاسق إذا وقب * ومن شر النفاثات في العقد * ومن شر حاسد إذا حسد**﴾.

وإن الله تعالى يوجه المؤمن إلى خطورة الحسد ومضاره وأنه من الأمراض التي يصاب بها كثير من الناس. وإنه من باب العلاج أن يستعين المؤمن ربه فيقول ﴿**قل أعوذ برب الفلق * من شر ما خلق * ومن شر غاسق إذا وقب * ومن شر النفاثات في العقد * ومن شر حاسد إذا حسد**﴾.

والله برحمته وفضله هو الذي يوجه رسوله ﷺ وأمته للاستعاذة من هذا المرض الخطير والشر المستطير. ومن المقطوع به أنهم متى استعاذوا به ــ وفق توجيهه ـ أعاذهم وحماهم من هذه الشرور إجمالاً وتفصيلاً، ولذلك كان ﷺ يواظب على قراءة هاتين السورتين لتكون أسوة لأمته ومنجاة لكثير من الابتلاءات والعداوات التي يسببها هذا الحسد إزاء نعمة الله على بعض عباده مع تمني زوالها.

عن عائشة رضي الله تعالى عنها «أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه وأمسح بيده رجاء بركتها». وفي هذا إشارة إلى أن عائشة - رضي الله تعالى عنها - من أوائل من استعاذ من شر الحسد وتأست برسول الله ﷺ في هذا المجال. وعنها أيضاً أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ فيهما **﴿قل هو الله أحد﴾** و**﴿قل أعوذ برب الفلق﴾** و**﴿قل أعوذ برب الناس﴾** ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات(١). ومن ذلك يتبين اهتمام الرسول ﷺ بمعالجة هذا المرض (الحسد) أيما اهتمام فبين خطورته وبشاعته بكلمات أدبية بليغة، وأوجد بديلاً له فأباح الغبطة وفتح مجالاً للمنافسة الشريفة ليسد منافذ الحسد ومداخله؛ لأنه من الأمراض المهلكة، ومن الأعمال الهدامة الخطيرة التي تشتت شمل الأمة وتفرق جمعها. وقد تورط فيه اليهود. قال تعالى **﴿أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكًا عظيمًا﴾**(٢).

﴿أم يحسدون﴾ يعني اليهود، (الناس) يعني النبي ﷺ خاصة. عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما حسدوه على النبوة وأصحابه على الإيمان به.

والحسد مذموم وصاحبه مغموم، وهو يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب. رواه أنس عن النبي ﷺ. وقال الحسن: ما رأيت ظالماً أشبه بمظلوم من حاسد، نفَس دائم، وحزن لازم وعَبرة، لا تنفد.

---

(١) صحيح البخاري بحاشية السندي، ج٣ـ المعوذات ـ ص ٢٣٠.
(٢) سورة النساء: ٥٤.

ويقال: الحسد أول ذنب عصي الله به في السماء، وأول ذنب عصي الله به في الأرض. فأما في السماء فحسد إبليس لآدم، وأما في الأرض فحسد قابيل لهابيل. ولقد أحسن من قال:

اصبر على حسد الحسود فإن صبرك قاتله
فالنار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله[1]

ونظراً لخطورة هذا المرض أنزل الله تبارك وتعالى صورة كاملة سماها سورة الفلق. وقد روى القرطبي في شرح هذه السورة أن النبي ﷺ قال: «المؤمن يغبط والمنافق يحسد». وفي الصحيحين «لا حسد إلا في اثنتين...» يريد لا غبطة.

قال العلماء: الحاسد لا يضر إلا إذا ظهر حسده بفعل أو قول وذلك بأن يحمله الحسد على إيقاع الشر بالمحسود فيتبع مساوئه ويطلب عثراته قال ﷺ: «إذا حسدت فلا تبغ...» الحديث.

وفي سورة الفلق، أمر الله نبيه ﷺ أن يتعوذ من جميع الشرور فقال ﴿**من شر ما خلق**﴾، وجعل خاتمة ذلك الحسد تنبيهاً على عظمه وكثرة ضرره. والحاسد عدو نعمة الله ومعترض على منه وعطائه[2].

والحساد يأكلون حسناتهم كما تأكل النار الحطب ولا يحسبون حساباً لليوم الآخر، ويخيم على قلوبهم الإثم، وتملك زمام أمرهم المعصية، وهؤلاء يتحاسدون في مال زائل ومتاع رخيص، وبذلك تكون الخسارة لهم في الدنيا والآخرة.

وقد عالج الرسول ﷺ هذا المرض «الحسد» بإيجاد التنافس في ذلك النعيم وفي ذلك التكريم. عن أبي حازم الأشمعي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من أصبح منكم اليوم صائماً؟ قال أبو بكر: أنا. قال: فمن تبع منكم

---

(١) الجامع لأحكام القرآن م٥. سورة النساء ص ٢٥١ ـ ٢٥٢، باختصار وتصرف.
(٢) المصدر نفسه ج٢٠، سورة الفلق ص ٢٥٩.

اليوم جنـازة؟ قال أبو بكر: أنـا. فقال رسول الله ﷺ: مـا اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة»(١).

هذه اللفتة التربوية تكشف عن طبيعـة هذا الدين وتبين منهجه وتقيم الحياة على هذا الأساس الأخلاقي العميق. فالـدين يحرم الحسد ويعالجه بشتى الطرق مثل التقوى والمحبـة الغبطة... إلخ. ومن المعـروف أن التنافس في أمـر الآخرة يعالج كثيراً من الأمـراض ويرتفع بأرواح المتنافسين، بينما التنافس في أمـر الدنيا ينحط بهم جميعاً، والسعي لنعيم الآخرة يطهر القلوب ويصلح الأرض ويعمرها ويطهرهـا للجميع، والسعي لعرض الدنيـا يدع الأرض مستنقعاً وبيئـاً تتحارب فيها الأمم، ويدب فيها الحسد وتنتشر بينهـم الكراهية والبغضاء، ولا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته، وبـذلك يربي رسول الله ﷺ أمته على تحويل الحسـد إلى الغبطـة والتنـافس. وعلى هـذا الأسـاس التربـوي المتين أينعت ثمار هذه التربية في أكثـر من موقع، وأجملها في غزوة تبوك فقـد أخرج أبو داود والترمـذي عن عمـر بن الخطاب قـال: «أمـرنـا رسول الله ﷺ أن نتصـدق فـوافق ذلك مالاً عنـدي قلت اليـوم أسبق أبا بكـر - إن سبقتـه يومـاً - فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله ﷺ: مـا أبقيت لأهلك؟ قلت: مثله. وأتى أبو بكر بكل مـا عنده، فقـال: يا أبـا بكر ما أبقيت لأهلـك؟ قال: أبقيت لهم الله ورسـولـه. قلت لا أسبقـه في شيء أبـداً». قـال الترمـذي هـذا حـديث حسن صحيح(٢).

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ـ المجلد الثامن ـ كتاب فضائل الصحابة - رضي الله عنهم - وفضائل أبي بكر، ج١٥ ص ١٥٦ مكتبة الرياض الحديثة.

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي ـ المكتبة التجارية بمصر، ص٤٠، فصل في إنفاق ماله.

والحديث يحتاج إلى وقفة تـربوية؛ لأنه مثال حي لتحـويل الحسد إلى الغبطة وإلى التنافس، وفي مثل هذه الأمور ينبغي التنافس لأن في ذلك الخير كل الخير.

- فقه الحديث :

الحسد نـوعان: مـذموم ومحمود، فـالمذموم أن يتمنى الحاسـد زوال نعمة الله عن أخيه المسلم، سواء تمنّى مع ذلك أن تعود إليـه أو لا، وهذا النوع الذي ذمه الله تعالى في كتابه ﴿**أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله**﴾.

وأما المحمود فهو ما جاء في صحيح الحديث من قوله ﷺ: «لا حسد إلا في اثنتين. . .» وحقيقتهـا: أن تتمنـى أن يكـون لك مـا لأخيك المسلم من الخير والنعمة ولا يزول عنه خيره.

ويقول ابـن حجر ــ رحمه الله ـ إن كـان في المعصية فهـو مذمـوم، ومنه «ولا تنافسوا» وإن كان في الجائزات فهو مباح»[1].

- ما يستفاد من الحديث :

١- حـرص الـرسـول ﷺ على تهذيب النفـوس وغـرس القيم النبيلـة في المجتمع.

٢- يجب على كل مسلم تجنب الحقـد والحسد والبغضـاء؛ لأن ذلك يمكن الشيطان في الأرض ويدمر ولا يعمر.

٣- التنافس في أعمال الخير عمل طيب ولا يعد من الحسد في شيء وقد حث عليه الدين.

٤- لا يعد من الحسد «غبط المؤمن لأخيه».

(١) فتح الباري، ج١ ـ كتاب العلم ـ باب الاغتباط في العلم والحكمة ص ١٦٧.

٥- الحسد في العلم وتحصيله والمنافسة في ميزانه لا يعد من باب الحسد المذموم وإنما هو تصرف محمود، وله آثار حسنة على المجتمع وتقدمه وتطوره، ولا حسد أيضاً في المال الذي يؤدى صاحبه حقه ويتصرف فيه بما يرضي الله خالقه.

obeikandl.com

الحديث الخامس والثلاثون: الدعوة إلى سبيل الخير

حدثنا يحيى بن أيوب وقتيبة بن سعيد وابن حُجْر. قالوا: حدثنا إسماعيل - يعنون ابن جعفر - عن العلاء، عن أبيه، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**من دعا إلى هُدًى، كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً. ومن دعا إلى ضلالة، كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً**».

- تخريج الحديث:

- صحيح مسلم بشرح النووي: ج١٦، كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة، ومن دعا إلى هدى أو ضلالة، ج١٦، (٢٦٧٤) ص ٣٤٧.

- عون المعبود شرح سنن أبي داود: ج١٢ كتاب السنة، باب من دعا إلى السنة (باب لزوم السنة)، ح٤٥٩٦ ص٢٣٦.

- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي: ج٧ أبواب العلم عن رسول الله ﷺ، باب في من دعا إلى هدى فاتُّبع أو إلى ضلالة، ح٢٨١٣، ٢٨١٤، وقال: هذا حديث حسن صحيح ص ٣٦٤، ٣٦٥.

- سنن ابن ماجه: ج١، المقدمة، باب من سن سنة حسنة أو سيئة، ح٢٠٣، ٢٠٧، ص ٧٤، ٧٥.

- سنن الدارمي: ج١، المقدمة، باب من سن سنة حسنة أو سيئة، ح٥١٢، ٥١٥ ص١٤٠، ١٤١.

- مسند الإمام أحمد بن حنبل: ج٢، ص ٣٩٧، ح ٩١٨٤.

- المعاني اللغوية :

من دعا إلى هدى : قال الطيبي : الهدى إما الدلالة الموصولة أو مطلق الدلالة، والمراد هنا ما يهدى به من الأعمال الصالحة . وفي عون المعبود إلى ما يهتدى به من الأعمال الصالحة .

هدًى : وهو بحسب التنكير شائع في جنس ما يقال هدًى، فأعظمه هدى من دعا إلى الله وعمل صالحاً، وأدناه هدى من دعا إلى إماطة الأذى عن طريق المسلمين(١) .

هدى : نكرة ليشيع فيتناول الحقير كإماطة الأذى عن الطريق .

«كان له من الأجر مثل أجور من تبعه» : فهبه ابتدعه أو سبق إليه لأن اتباعهم له تولد عن فعله الذي من سنن المرسلين .

«لا ينقص ذلك» : الإشارة إلى مصدر كان .

«من أجورهم شيئاً» : دفع ما يتوهم أن أجر الداعي إنما يكون بالتنقيص من أجر التابع وضمه إلى أجر الداعي، فكما يترتب الثواب والعقاب على ما يباشر ويزاوله يترتب كل منهما على ما هو سبب فعله والحث عليه (٢) .

- المعنى العام :

من دعا إلى هدًى، الهدى طريق الخير والبر. قال الطيبي : «الهدى إما الدلالة الموصولة أو مطلق الدلالة، والمراد هنا ما يهدى به من الأعمال الصالحة وهو بحسب التنكير شائع في جنس ما يقال هدًى فأعظمه، هدًى من دعا إلى

---

(١) تحفة الأحوذي، ج٧، باب من دعا إلى هدى فاتبع أو إلى ضلالة، ص٤٣٧، وعون المعبود، م٦ ج١٢، باب من دعا إلى السنة ص ٢٣٦ .

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير لعبد الرؤوف المناوي ج٦ ص ١٢٥، ط . دار المعرفة ـ بيروت .

الله وعمل صالحاً، وأدناه هدًى من دعا إلى إماطة الأذى عن طريق المسلمين»[1].

إن النهوض بواجب الدعوة في مواجهة الظروف القاسية أمر شاق ولكنه شأن عظيم، ومن يدعو إلى الخير في مثل هذه الظروف كان له من الأجر والقربى إلى الله ما لا يضارعه عمل آخر قال تعالى: ﴿**ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحًا وقال إنني من المسلمين**﴾[2].

إن كلمة الدعوة حينئذ هي أحسن كلمة تقال في الأرض وتصعد في مقدم الكلم الطيب إلى السماء، ولكن مع العمل الصالح الذي يصدق الكلمة، ومع الاستسلام لله الذي تتوارى معه الذات والشهوة فتصبح الدعوة خالصة لله ليس للداعية فيها شأن إلا التبليغ، وحينئذ تتحول كلمة الدعوة إلى صدقة جارية وإلى أجر مستمر.

وكان النبي ﷺ يروض نفوس العرب بالمنهج الرباني للانقياد إلى الأعمال الخيرة والاعتياد للسلوك الكريم والاندفاع نحو معاني الخير في مناسبات متعددة وفي أوقات متقاربة. عن أنس بن مالك قال: «أتي النبي ﷺ رجلٌ يستحمله فلم يجد عنده ما يحمله فدله على آخر فحمله، فأُتي النبي ﷺ فأخبره، فقال: إن الدال على الخير كفاعله» لإعانته عليه، فإن حصل ذلك الخير فله ثوابه وإلا فله ثواب دلالته[3].

هكذا كان الإسلام يلتقط العرب من سفح الجاهلية في التقاليد والعادات

---

(١) تحفة الأحوذي ج٧، باب من دعا إلى هدى فاتبع وإلى ضلالة، ص ٤٣٧.

(٢) فصلت: ٣٣.

(٣) تحفة الأحوذي، ج٧، ص ٤٣٣، باب ما جاء في الدال على الخير كفاعله. «يستحمله» أي يطلب منه المركب «فحمله» أي أعطاه المركب.

والأخلاق والمادية والأنانية والصلات الاجتماعية، كان يرفعهم من سفح الجاهلية إلى القمة السامية من الخير والنبل، عن أبي مسعود البدري أن رجلاً أتى النبي ﷺ يستحمله، فقال: إنه قد أبدع بي[1]. فقال رسول الله ﷺ: ائت فلاناً، فأتاه فحمله، فقال رسول الله ﷺ: من دل على خير فله مثل أجر فاعله أو قال عامله»[2].

والدارس لهذه الأحاديث يلمح من خلالها فيرى تلك الآفاق العالية التي يريد الله أن يرفع الناس إليها بمنهجه الرفيع القويم من سمو وشرف وكرم وسماحة ومن تطبيق معاني أخوة التراحم والتعاطف، وهذه المعاني تتسع فتشمل جميع سبل الخير وأساليب الدعوة من إنشاء المدارس والمستشفيات وإيجاد وسائل متطورة لخدمة الدعوة من الأشرطة والتكنولوجيا الجديدة لتخزين المعلومات ونشرها بأيسر صورة ممكنة من برمجة الأحاديث والآيات في الحاسب الآلي؛ لأن الدعوة إلى الهدى تكون بالقول والعمل وبالوسائل المشروعة والآلات الجديدة المتجددة. فمن دعا إليه كان له من الأجر على دعوته مثل أجور من اتبعه مهما يكثر عددهم، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً.

«ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً». وهذه الفقرة من الحديث تفسر الآية ﴿**من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسًا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعًا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعًا**﴾[3]. قال سعيد بن جبير: من استحل دم مسلم فكأنما استحل دم الناس جميعاً ومن حرم دم مسلم فكأنما حرم دماء الناس جميعاً.

---

(١) يقال: أبدع بي، على بناء المفعول، يقال: أبدعت الراحلة إذا انقطعت عن السير.
(٢) تحفة الأحوذي، ج٧، باب ما جاء أن الدال على الخير كفاعله، ص ٤٣٤.
(٣) سورة المائدة: ٣٢.

وقال الحسن البصري: فكأنما قتل الناس جميعاً. قال: وزراً. ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً. قال: أجراً[1].

و إلى هذا يشير ﷺ، عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من نفس تقتل ظلماً إلا كان على ابن آدم كفل من دمها؛ ذلك لأنه أول من أسن القتل. وقال عبد الرزاق: سن القتل[2].

وهذه الأحاديث تجمع مفردات الخير والبر، وتحذر من مفاهيم الشر والسوء فتجعلها خطا مستقيماً ثابتاً وأصلاً له هدف مرسوم، وله دافع مفهوم، وله طريق معلوم، فلا يترك للنزوة العارضة والرغبة الغامضة أن تعيث فساداً في الأرض وتظن أنها حرة في شخصها، بل إنها تحمل وزرها ووزر من عمل بها فيما بعدها، والله يعلم البواعث والنوايا والغايات والأهداف ويعلم مداخل القلوب ومسارب النفوس، وهو حكيم في علاجها وتدبير أمرها، ووضع الحدود والنظم التي لا تصلح إلا بها. «من دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً».

والحديث يبين أحد المعاني التي ترمي إليها آيات سورة النور ﴿**إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون**﴾[3].

وذلك جانب من منهج التربية وإجراء من إجراءات الوقائية، يقوم على خبرة بالنفس البشرية ومعرفة بطريقة تكيف مشاعرها واتجاهاتها، ومن ثم يعقب

---

(١) تفسير ابن كثير م١، سورة المائدة ص ٧٥.
(٢) تحفة الأحوذي، ج٧، باب أن الدال على الخير كفاعله، ص ٤٣٦.
(٣) سورة النور: ١٩.

بقوله ﴿**والله يعلم وأنتم لا تعلمون**﴾. والله يعلم أن المجلات الخليعة والصور العارية وإبراز المفاتن منها، الله يعلم مدى خطورة هذا العمل ومدى تحطيم القيم الخلقية والمفاهيم التربوية في ميادين النفس البشرية، وخصوصاً في وسط المراهقين والناشئين.

ومن هنا كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً.

«ومن دعا إلى ضلالة ابتدعها أو سبق بها فإن عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لتولده عن فعله الذي هو من خصال الشيطان، والعبد يستحق العقوبة على السبب وما تولد منه، كما يعاقب السكران حال سكره، وإذا كان السبب محظوراً لم يكن السكران معذوراً، فالله يعاقب على الأسباب المحرمة وما تولد منها كما يثيب على الأسباب المأمور بها وما تولد منها»(١).

والحديث لقطة من لقطات التربية الشاملة والنهوض بالأمة إلى معاني الخير وإلى ميادين العمل وإلى سعة الأفق وسعة الصدر وإلى النبل والشرف وإلى نشر معاني البر والخير وإلى محاربة الأفكار الهدامة والأعمال السيئة التي تعود على الأمة بالعواقب الوخيمة وهي المعاني التي تشير إليها الآية ﴿**وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان**﴾(٢). يأمر تعالى عباده المؤمنين بالمعاونة على فعل الخيرات وهو البر، وترك المنكرات وهو التقوى، وينهاهم عن التناصر على الباطل والتعاون على المآثم والمحارم. قال ابن جرير: الإثم ما ترك ما أمر الله بفعله، والعدوان مجاوزة ما حد الله في دينكم ومجاوزة ما فرض الله عليكم في أنفسكم وفي غيركم.

---

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير، لعبد الرؤوف المناوي، ج٦ ص ١٢٥.
(٢) المائدة: ٦.

حدثنا بكر بن عبد الرحمن حدثنا عيسى بن مختار عن ابن أبي ليلى عن فضيل ابن عمرو عن أبي وائل عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «الدال على الخير كفاعله» ثم قال: لا نعلمه يروى إلا بهذا الإسناد. قلت: وله شاهد في الصحيح «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه إلى يوم القيامة لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من معه إلى يوم القيامة لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً»(١).

- فقه الحديث:

١ - قال البيضاوي أفعال العباد وإن كانت غير موجبة ولا مقتضية للثواب والعقاب بذاتها، لكنه تعالى أجرى عادته بربط الثواب والعقاب ارتباط المسببات بالأسباب وفعل ما له تأثير في صدوره بوجهه، ولما كانت الجهة التي استوجب الجزاء المتسبب غير الجهة التي استوجب بها المباشر لم ينقص أجره من أجره شيئاً(٢).

٢ - قال الشافعي رحمه الله: «البدعة بدعتان: بدعة محمودة وبدعة مذمومة، فما وافق السنة فهو محمود، وما خالف السنة فهو مذموم»(٣).

والحديث يشير إلى هذه المعاني الفقهية.

- ما يستفاد من الحديث:

١ - الحديث يوجه المؤمن إلى ابتكار سبل الخير من التقنية الجديدة والاختراعات الحديثة والآلات المتطورة التي يمكن استخدامها في نشر الإسلام وتعميم القيم الإسلامية بالوسائل المسموعة والمقروءة والمرئية بنية الصدقة الجارية واحتساب الأجر.

---

(١) تفسير ابن كثير، م٢ سورة المائدة، ص ٩، ١٠.

(٢) فيض القدير، ج٦ ص ١٢٥.

(٣) كتاب السنن والمبتدعات المتعلقة بالأذكار والصلوات، لمحمد عبد السلام خضر الشقيري.

٢ - والحديث أيضـاً يشير إلى إحيـاء السنن التـي بـدأت تختفي من البيئـة الإسلامية من إكرام الضيف والإنفاق في سبيل الله، وما كان ولا يزال متداولاً في العرف العـام من دعوة النـاس إلى البيت الجديد «نزالـة» وإظهار مفـاهيم الكرم بهذه المناسبة إلى المائدة الكريمة، ومنها العقيقة وإكرام القادم الجديد.

٣ - ويحذر الحديث من إيجاد أشياء مثيرة للجنس محطمـة للقيم من الوسائل المعروفة باسم السينما والفيديـو والأفلام الخليعة والمجلات المثيرة، فإن من ينشر هذه الوسائل ويعممها فإنـه يتحمل وزره ووزر من عمل به، وينطبق عليه قوله ﷺ: «ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً».